دار
(برنامج إقامة فنيّة
هندسة معماريّة
تحريريّة)

–

في حوار مع

أوكني انويزور

أوكني انويزور: أليساندرو، ساندي وايال، أود أن أستهل النقاش بتحقيق أولي حول مفهومكم لإنهاء الاستعمار الذي يبدو لي متناقضاً من جهة وغريباً من جهة أخرى. ففي الحالة الأولى، قد تبدو الرغبة في انهاء الاستعمار على مستوى الهندسة المعمارية الفلسطينية مبنية على تناقض ملحوظ إن اخذنا بعين الاعتبار الحجّة التاريخية التي تعتبر أن المشهدين المعماريين الإسرائيلي والفلسطيني لطالما كانا ممزوجين الى أقصى الحدود، فيبدو من المستحيل أن نفصل بين لغتهما البنيوية الخاصة والفريدة من نوعها. وإن كان افتراضي يمتّ بأي صلة بواقع الممارسة الفضائية في المنطقة، فعلى ما تنطوي الهندسة المعمارية الإستعمارية التي تهدفون الى معالجتها؟ كما تثير اهتمامي اللهجة الإعتذارية التي ترافق استخدامكم للفظة إنهاء الإستعمار التي تعتقدون أنها تشكل معضلةً كما أنها محفوفة بالمخاطر والمشاكل التاريخية. فهل يمكنكم أن تشرحوا لنا ما الذي يجعل من "إنهاء الاستعمار" إشكالية في السياق العصري؟

دار: يسرنا كثيراً أن نتحاور معك يا أوكني. وسعيا منا الى مشاركتك التحديات التي تواجهها، نود أن نتّبع مساراً للمفردات التي تدقق فيها ومن ثم نتناول الطرق التي جعلت منها مفاهيم مؤثرة في عملنا.

في مقدمة أول نسخة عبرية لعمل فرانتس فانون "Wretched of the Earth"، تعلّق إيلّا شوهات على "الطريقة المعاكسة" التي دخل فيها أدب ما بعد الإستعمار الى الخطاب الفلسطيني الإسرائيلي. ففي بداية التسعينات، تُرجمت مجموعة مقالات لغاياتري سبيفاك الى اليهودية، وقد تلتها أعمال هومي بهابها وفي وقت لاحق أعمال إدوار سعيد. ولم تصبح منشورات فرانتس فانون المترجمة متوفرة الا في مطلع الإنتفاضة الأخيرة. وهي تقوم على نقد مقتضب للأساليب المعتمدة في الأوساط الأكاديمية خلال سنوات أوسلو في إطلاقها خطابا ما بعد استعماري صلبا، بيد أنه لم يستند الى أي صراعات مناهضة للاستعمار. وغالباً ما كان يتم العثور على كتاب فانون بنسخته العربية بالقرب من جثث مقاتلي الجبهة الشعبية على مدى مرحلة السبعينات.

ومع ذلك، نشعر أننا نعيش في نوع من استعمار ما بعد الإستعمار. فمن جهة، لقد هيمنت على خطاب التسعينات لفظات مثل القرب والتهجين والجيرة من دون أن يتم التطرّق لواقع الإستعمار

دار (برنامج إقامة فنيّة هندسة معماريّة تحريريّة)

دار مجموعة فنون وهندسة معماريّة وبرنامج إقامة مقرّها بيت ساحور، فلسطين. يجمع عمل دار النظريّات والمداخلات الفراغيّة والتعليم والتعلّم الجماعي والاجتماعات العامّة والتحديّات القانونيّة. تتمركز ممارسة دار حول إحدى أصعب معضلات الممارسة السياسيّة: كيف يمكن السلوك بشكل اقتراحيّ ونقديّ معا ضمن بيئة يتصف مجال القوّة السياسيّة فيها بأنّه مشوّه بشكل دراماتيكي؟ تقترح هذه الممارسة الحد من سلطة، وإعادة استعمال، والخروج عن المقدّس، وتكرير البنى التحتيّة الموجودة لاستعمار كولونيالي. عُرضت مشاريع دار في مختلف البينالّيات والمتاحف ومنها بينالي فينيسيا، وبوزار في بروكسيل، وإن جي بي كا بر لين، وبينالي اسطنبول، وبينالي روتردام المعماري، وأشغال داخليّة في بيروت، والشكل المعماري تيرول في إنسبرك، وترينالي أوسلو، ومركز بومبيدو في باريس. حاضر أعضاء دار عالميّا في مواقع مختلفة من ضمنها جامعة كولومبيا في نيويورك، وتيت مودرن في لندن، وجلوبال آرت فورم في دبي، وقاعة محاضرات إدوارد سعيد في جامعة وارويك، والفينيق مخيّم دهيشة للاجئين في بيت لحم، ومشروع حقوق الإنسان (كليّة بارد). حصلت مجموعة دار على جائزة برينس كلاوس للعمارة في ٢٠١٠ كما وصلت المجموعة للائحة المختصرة لجائزة شرنيكوف.

www.decolonizing.ps

الفعلي للصهيونية أو لما أسماه ديريك غريغوري "الزمن الحاضر الإستعماري". ومن جهة أخرى، إن نمط الحكم الذي كان في أيدي السلطة الفلسطينية قد ولّد نوعا من التصرف لشبه دولة، فيما لم تزل ترزح تحت وطأة اسرائيل. ومن الجلي أن تقنيات الهيمنة الحالية هي ما بعد بنيوية بذاتها، فتبدو متصلة بشبكات ومستويات تفوق ما كانت عليه في السابق. فنحن لا نشهد إقصاءا وفصلا صارخا حسب، بل حكما يمزج بجنون بين الحرية والهيمنة، والحكم الذاتي والسيطرة، والقانون وعدم الشرعية، وإمكانية الوصول والفصل، والليبرالية والإحتلال. ووسط هذا الخليط، قد تتحوّل ساحة التكنولوجيات الليبرالية المحورية الآيلة الى الاعتدال– والإنسانية والقانون الدولي وحقوق الإنسان– الى أشكال حكم/حكومة مبنية على العنف وسوء المعاملة. ففي الضفة الغربية، تم هندسة أجهزة المناطق الصناعية وإدارة نقاط التفتيش المتغيّرة ومسار الجدار تماشياً مع آلية التناسب، بحيث تشكل "الرفاهية" جزءا من منطقة السيطرة.

وعلى هذا النحو، من المهمّ أن نشدد على طبيعة الإستعمار كإطار مرجعي وعلى لفظة إنهاء الإستعمار كممارسة ضرورية ولازمة. ولا تنطوي معالجتنا للفظة إنهاء الإستعمار بأي شكل على طابع إعتذاري. بل على العكس، لقد قمنا باستخدامها بطريقة تخلو من أي خجل حتى أننا اعتمدناها اسما للاستديو الخاص بنا! ولكننا نعتقد أنها بحاجة الى تحديث بما أن الممارسة الإستعمارية العصرية تختلف عن تلك المنتمية الى النصف الأول من القرن العشرين. وعلاوة على ذلك، نهدف بالنهاية الى معالجة ما نسمّيه "علم الآثار المستقبلي للإستعمار" من خلال مشاريع مختلفة.

أوكنيي انويزور: ولكن لعل ما ينقص في كل ذلك ما أصفه بسجلات العنوان المتعددة التي ترتبط مباشرةً بمفهوم الممارسة الفضائية: وبالتحديد لفظات كالمسافة والقرب والجوار. فكيف لبرنامج هندسة معمارية قائم على النقد، إن كان عملياً أو افتراضياً، أن يخترع قاموساً جديداً يتضمّن لفظات تعبّر عن السكن بالقرب من، أو نظريات حول الجوار، بهدف التعامل مع هذا الآخر المتعذّر وصفه، فلسطينياً كان أو اسرائيلياً؟

دار: على المستوى الجمالي، هناك بقعة رمادية واسعة. فلقد شرعت اسرائيل في العمار داخل القدس وفي جوارها في النصف الثاني من العام ١٩٦٧. واندفع المهندسون الإسرائيليون والعالميون لبناء هذه الأجزاء المحتلّة من القدس، مجاهرين "بعودة الى التاريخ" باتت غير واضحة المعالم ومتخلّيين عن الممارسات المجردة والعصرية مقابل الشعور ب"المكان" –نوع من "السكن" أكثر منه حياة أو عيش. وأصبحت الهندسة العربية المحليّة المرجع المحوري الذي نُقل عنه في إطار ممارسة الهندسة الصهيونية التي اعتُبرت محلية وأصلية. ومن ناحية أخرى، لقد عكس عدد كبير من المباني الفلسطينية رغبةً في الرفاهية التي ميّزت منازل المستوطنات. أما اليوم فنشهد بلدةً عربية جديدة (مثل بلدة الروابي، شمال رام الله) وقد تم بناؤها بمجملها استنادا الى نمط شبه مطابق لأسلوب المستوطنات الإسرائيلية. وفي الواقع، يقوم أحد أسباب هذا التشابه على واقع عملي مفعم بالقسوة: إن عمال البناء العرب هم الذين بنوا المستوطنات فاحنفظوا بالخرائط واستخدموها لاحقاً في مشاريع خاصة وعامة قد أطلقها الفلسطينيين!

مع ذلك وبالرغم من تشابهها ظاهريا في ما بينها، فالبنية التحتية وشبكات النقل وتدفق السلع والمؤن والماء والكهرباء والغاز أي كل الشبكات غير المرئية للطاقة، هي التي تزوّد المباني بقدرتها الأدائية. وبالتالي يكمن الفرق ويظهر من خلال الأنظمة التي تنسجها المنازل في ما بينها وليس على مستوى المنازل بحدّ ذاتها.

ونعتقد أن مسائل العمل الجماعي أو غيرها من المبادرات المماثلة قد تصبح مجديةً إن استندت الى شروط نضال مشترك مناهض للنظام الحالي القائم على عدم المساواة والاستبداد، فتصبح شرطاً أساسياً للتعامل مع قضايا الجيرة والقرب. وتتخذ فكرة النضال اليوم أشكالا متعددة تسعى بمعظمها الى إنشاء أطر مؤسساتية تجمع ما بين البيداغوجيا والنشاط السياسي والعمل الهندسي، على النحو الذي حاولنا اتباعه. ولقد اقترحت أميرا هاس أن تصبح هذه المنصات المشتركة –المعدّة لمحاربة ظلم الإستعمار– المنصات السياسية للمستقبل. وليست صدفة إن كنا نقوم بممارساتنا من بيت ساحور التي كانت ولم تزل نقطةً محورية لحركات سياسية يسارية وممارسات عدّة.